المملكة الأردنية الهاشمية

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

ركائز النهضة في ضوء القرآن الكريم

الدكتور محمد محمود كالو

بحث مقدم

للمؤتمر القرآني الثالث الذي تنظمه جمعية المحافظة على القرآن الكريم تحت

عنوان:

{القرآن الكريم ومقومات النهضة}

المنعقد في الفترة:

19 . 20 شعبان 1431 هـ الموافق 31 / 7 / 2010 م . 1 / 8 / 2010 م

ركائز النهضة في ضوء القرآن الكريم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

وبعد:

فالنهضة الإسلامية هي الأملُ الذي يراودُ كلَّ المصلحين؛ ولكنها تحتاجُ إلى تخطيطٍ عميق؛ وتنفيذٍ دقيق؛ وفْقَ المنهجِ الوثيق الذي أرشدنا الله تبارك وتعالى إليه في كتابه الكريم.

لقد قرأ القرآن أقوام فارتقوا إلى قمم المجد، ونهضوا إلى عرش السيادة، وقرأه أناس أخبرنا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم" {1}.

وإن مما لا شك فيه أن أمتنا الإسلامية في حاجة ماسة إلى نهضة شاملة في هذه المرحلة الراهنة، لكي تنفض عنها غبار الجهل والتخلف والانحطاط، وحتى تعود الأمة لمجدها لا بد من تصحيح مسارها؛ لإنقاذها من التردي والسقوط، وذلك بالاعتصام بحبل الله المتين، قال سبحانه وتعالى : {**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**} {2} .

ثم إن النظرة إلى النهضة مختلفة بين الناس، فصاحب الفلسفة المادية، عندما يحكم على مجتمع ما بالتخلف؛ فهو ينظر إلى الجانب المادي من حال هذا المجتمع، ويعتمد مستوى دخل الفرد وعدد ونوع وسائل المواصلات، أو عدد ونوع وسائل الإعلام أو التطور العمراني ... الخ

---

1 ـ أخرجه البخاري (3414). ومسلم (1064) ومعنى لا يجاوز تراقيهم: لا يرفعُها اللّه ولا يَقبَلها. والتراقي: جمع ترقوة وهي عظم يصل ما بين ثغرة النحر والعاتق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 3/ 1321. وهؤلاء القوم هم الخوارج، والعبرة بعموم اللفظ.

2 . سورة آل عمران: 103.

أما المؤمن بالخالق سبحانه وتعالى فيعطي الجانب الروحي مقاماً يهمله صاحب الفلسفة المادية، والذي يهمنا هنا هو المؤمن بالله الواحد الذي خلق كل شيء فأحسن وأبدع، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وسخر له ما في السماوات والأرض واستخلفه عليها، وحمله مسؤولية إعمارها مادياً: بالتسخير والتطوير، ومعنوياً: بالإيمان بالله الواحد، والعمل بما أمره الله وحدد له من قيم ومثل عليا، تُوازِن بين جانبي الروح والجسد، وتعطي لكلٍّ من الجوانب المادية والمعنوية حقها [1].

وما سمي العصر السابق للدعوة الإسلامية بالعصر الجاهلي إلا لجهله بالخالق سبحانه وتعالى، والجهل بهذا المعنى يلازم التخلف بكل أشكاله، لأن الله تعالى وضع للمؤمن شريعة إن هو تعلمها وطبقها فلا بد أن تبوئه النهضة والرقي، لأنها شريعة من قال: {**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**} [2].

فمعيار المسلم في الحكم على مسألة التخلف والنهضة هو مدى سيادة الشريعة كما جاءت سننها في القرآن الكريم ، ومدى تطبيقه لهذه السنن والركائز التي تنعكس على سلوكه في الحياة، والدليل على ذلك ما فعله الإسلام في بداية الدعوة من تغيير في حال الأمة، وما حققه من نهضة وقوة وعزة.

جاء الإسلام كالنهر يتدفق من منبعه قوياً نقياً، يحمل معه الخير والعمار المادي والمعنوي، لذلك أجاب غوستاف لوبون على تساؤل: ماذا كان يصيب أوربا لو أن العرب المسلمين فتحوها واستقروا بها، ولم يندحروا في معركة بواتيه الشهيرة؟ فقال:

"كان يصيب أوربا النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب اسبانيا من الحضارة الزاهرة، تحت راية النبي العربي، وكان لا يحدث لأوربة التي تكون قد هُزِمَت ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية ... ومظالم محاكم االتفتيش، وكل ما لم يعرفه المسلمون من الوقائع التي ضرجت أوربة بالدماء عدة قرون "

1 . عصر النهضة بين الحقيقة والوهم، مفيدة محمد ابراهيم، دار مجدلاوي للنشر، الطبعة الأولى 1999 م : 11.
2 . سورة الملك: 14.

ونقض مزاعم المؤرخ القائل: { إن أوربا والدنيا كانتا تخسران مستقبلهما } فقال إن " مزاعم مثل هذه ليست مما يقف أمام سلطان النقد عندما يعلم أن التمدن اللامع حل بالبلاد التي خضعت لأتباع الرسول محل الهمجية " {1}.

إن الدين هو قوام الأمم وبه فلاحها، وإذا لم نؤسس نهضتنا على قواعد ديننا وقرآننا وسنة نبينا فلا خير فينا، ولعل هذا البحث يلقي الضوء على نماذج من الركائز الأساسية للنهضة في ضوء القرآن الكريم. وقد قسمت البحث إلى مقدمة وعشرة مباحث وخاتمة، على الشكل التالي:

مقدمة.

المبحث الأول: التمسك بالكتاب والسنة.
المبحث الثاني: الحرية.
المبحث الثالث: الإيمان والعمل الصالح.
المبحث الرابع: الاهتمام بدور العقل.
المبحث الخامس: التربية والأخلاق.
المبحث السادس: العلم بمفهومه الشامل.
المبحث السابع: العدل.
المبحث الثامن: وحدةُ الأمة الإسلامية.
المبحث التاسع: التوازن.
المبحث العاشر: اغتنام الأوقات.
خاتمة.

وأسأل الله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قريب مجيب.

1 . حضارة العرب، غوستاف لوبون: 317.

المبحث الأول

التمسك بالكتاب والسنة

إذا كانت الأمم وضعت لنفسها قانوناً يضبط شئونها وينظم حياتها، فليس هذا إلا تعبيراً عن أهمية الأخلاق في حياة الشعوب، وازدهار حضارتها وتماسك مجتمعاتها؛ لأن سلطان الأخلاق أقوى من سطوة القانون على النفوس، فالأخلاق قانون داخلي وخارجي معاً.

أما القانون الإسلامي المتجلي في القرآن والسنة فهو يتميز بأنه مبني على أساس أخلاقي، ومراقبة ذاتية، فالكتاب والسنة هما سبيل الإصلاح وأساس النهضة.

قال الله تعالى: { **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى**} [1].

وقال سبحانه وتعالى: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** } [2].

وقال عليه الصلاة والسلام: " فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " [3].

يقول علماء الاجتماع: إن استجابة الناس لمعايير أو أنظمة اجتماعية جديدة، إنما يأتي بسبب اقتناعهم بصلاحية تلك المعايير ومبادئها، وعدم صلاحية المبادئ التي كانت تستند عليها معاييرهم القديمة، ويعرف ذلك بمفهوم الإقناع .

---

1. سورة طه: ٣٢١.

2. سورة المائدة:3.

3. أخرجه أبو داود (3991).

أما النوع الآخر من أنواع الضبط الاجتماعي والمعروف بـ "التأثير الحثي" فهو يشير إلى وسائل الانصياع التي يستخدم فيها الثواب والعقاب بهدف إحداث التغيير المطلوب من خلال التدعيم الإيجابي أو السلبي.

ولقد جاء الدافع الحقيقي والأساسي لنجاح تحريم الخمر في الإسلام باعتبار الإسلام ديناً ومنهج حياة، فقد اشتملت الآيات القرآنية بشكل مباشر . مشكلة شرب الخمر . على عناصر { الإقناع } و{ التأثير الحثي} وقبل ذلك بدأ الإسلام بتصحيح العقائد والقيم الزائفة [1].

ولذلك يبدو مؤشر الخطر والسقوط يظهر في الأمة ويستفحل، عندما يضعف فيها القانون الأخلاقي المبني على الإقناع وأسلوب الثواب والعقاب، وتكثر الضوابط القانونية دون جدوى من أجل استمرار سير الدولة وتماسك الأمة.

وتعد ظاهرة كثرة القوانين وتشديد حراسة الشرطة في الدول علامة مرضية تسير بالأمة والمجتمع نحو الانهيار والتفكيك والسقوط.

والدليل على ذلك ما بذلته بريطانيا أيام عظمتها من جهود جبارة بعد عام 1750م للحد من استخدام الخمر خاصة في المستعمرات الأمريكية حتى قال ديفيد لويد جورج رئيس الوزراء آنذاك وهو يهودي متدين: "إننا نحارب ألمانيا والنمسا والخمر، وأستطيع القول بأن أعدى هؤلاء الأعداء هي الخمر" لكن المحاولات باءت بالفشل.

وكذلك حاولت السويد وفنلاندا، لكن التجربة الكبرى والعظيمة هي التي حدثت في الولايات المتحدة الأمريكية فقد عملت الجمعيات والمؤسسات التشريعية في الحكومة على منع الخمر تجارة وشرباً

---

1 . حكمة الإسلام في تحريم الخمر ، دراسة نفسية اجتماعية ، د. مالك بدري ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي 16 ، الطبعة الأولى 1416 هـ 1996م : 61 . 62.

في جميع أنحاء أمريكا، واستمرت هذه المحاولات لمدة قرن كامل من الزمن ولكن كانت النتيجة عجز الحكومة الأمريكية عن تنفيذ القرار، فاضطرت لإلغائه بعد ثلاثة عشر عاماً [1].

فالأساس الأخلاقي هو الذي يميز القانون الإسلامي . المتمثل في القرآن والسنة . عن القوانين الوضعية الوضيعة التي لا تراعي هذه الناحية فتسير بمجتمعها نحو الانهيار والهلاك.

المبحث الثاني

الحرية

قال الله سبحانه وتعالى: {**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**} [2].

وقال سبحانه وتعالى: {**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**} [3]

يخبرنا الباري جل جلاله ويذكرنا في أكثر من آية قرآنية أنه قادر على أن يجعل الناس جميعاً أمة واحدة مؤمنة، لكنه ومن خلال الحرية التي يجب أن يتمتع بها كل فرد أفسح المجال واسعاً لكل إنسان في استعمال هذه الحرية كي يكون الإيمان نابعاً من قناعة ذاتية، فالحرية شاملة حتى لاختيار الدين والعقيدة.

قال الله تعالى: {**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**} [4].

قال سبحانه وتعالى: {**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ** } [5].

فالاعتقاد الصحيح ناتج عن الاقتناع الكامل والتصديق الثابت ، ولا قيمة لعقيدة تأتي نتيجة القهر والتسلط، لأنها تنتهي بزوال أسباب القهر.

---

1 . الثلاثي المهلك : الربا والزنا والخمر، سعد البريك.

2 . سورة مريم:93 .95.

3 . سورة هود:118.

4 . سورة الكهف :29.

5 . سورة البقرة: 256.

ولهذا حينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن المسلمين أيرتد أحد منهم سخطا على دينه؟ قال: لا، فقال هرقل : هكذا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

فالإسلام يتيح الفرصة المتكافئة للناس كي ينظروا ويختاروا، فلا يجرهم على شيء لا يرغبونه ... ولم يحدث في تاريخ الإسلام أن أكره أحداً أو أجبر قوماً على اعتناق الدين، كما حدث في تاريخ النصرانية {1}.

إن الحرية قضية قديمة، ارتبطت بالإنسان منذ وجد، فهي مرتبطة بأصل طبيعته و فطرته، حتى لو كان الإنسان عبداً فإنه يحاول أن يتحرر من هذه العبودية و إن لم يستطع نيل حريته، فالحرية موجودة في أعماق نفسه لا يستطيع أن يتنازل عنها إلا مرغماً.

لقد عاش الإنسان صراعاً طويلاً من أجل الحرية وكان الصراع على نوعين:

1 . بين الإنسان والإنسان .

2 . وبين الإنسان والطبيعة.

وجاء الإسلام و أضاف بعداً ثالثاً لا يقل أهمية وهو:

3 . علاقة الإنسان بنفسه، فالنفس البشرية كما يراها الإسلام معرضة لأن تصبح خيرة أو شريرة، لذلك وجهه بألا يكون الإنسان عبداً لشهواته، وهو التحرير الحقيقي و المنطلق الذي ينطلق في إبداعاته و نشاطاته الاجتماعية، فمتى أصبح عبداً لشهواته لم يكن حراً بل عبد، قال الله تعالى: {**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ**} {2}.

---

1 . حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، طباعة أكاديمية نايف العربية للعلوم التربية: 1/ 38.

2 . سورة الجاثية: 23.

وقال عليه الصلاة والسلام : { تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش} [1].

وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: { مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً } [2].

إن مبدأ الحرية ينبع من مبدأ التوحيد والقيام بحق العبودية لله رب العالمين، والعبادة هي الغاية التي خلق الله الإنسان لتحقيقها فقال الله تعالى: { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ**} [3].

فالعبوديةُ لله هي الحريةُ من جميع الأهواء والأفكار الضالة، والقوانين الجائرة، والفلسفات الحائرة.

والحرية عنصر ضروري في حياة الأمم، لأن فقدها يؤدي إلى ظهور اللامبالاة وعدم تحمل المسؤوليات وكثرة المطالبة بالحقوق وإغفال الواجبات، مما يفقد التوازن في حياة الناس ويؤدي إلى انتشار الظلم الذي يقتل إرادة الأفراد والجماعات، ويحول دون ظهور الأبطال والعلماء والمصلحين والزعماء.

كما يستحيل وجود قادة في هيمنة الظلم والحرمان وغياب الحرية والاستقلال، لأن الإنسان المبدع البناء لا يبدع ولا ينشىء إلا إذا كان حراً في ذاته وفي مجتمعه ومسئولاً مسئولية داخلية نابعة من ذاته، وعن اقتناعه بما يصنع بتأثير إيماني عميق.

وليس هناك حرية مطلقة للإنسان في واقعه " لأن الحرية ليست ممارسة ذاتية تتم في دائرة مقفلة داخل الكينونة الإنسانية، وإنما هي تفاعل يتم بين الإنسان والأنظمة الكونية المحيطة به. فحريته ملجمة إذن بقيود تلك الأنظمة وأحكامها " [4].

---

1 . رواه البخاري (2673).

2 . كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال، للعلامة علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندي : 12 /660 ، ورقم (36010).

3 . سورة الذاريات: ٦٥.

4 . الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية ، د. محمد سعيد رمضان البوطي ، بيروت : دار الفكر المعاصر ط الأولى ، عام 1984 ، ص 105.

إن الإنسان لا يعيش في مجتمع أو كَوْنٍ وحده بل يعيش مع آخرين، فالطبيعة تفرض عليه قيوداً، ولعل أبسط دليل على أن حرية الإنسان غير مطلقة؛ هو أفعاله غير الإرادية، فهل يستطيع إنسان ما أن يوقف نبض قلبه بمحض إرادته، أو أن يستطيع عندما يتناول الطعام أن يمنع معدته من هضم هذا الطعام، فعندما يقرر الإسلام أن حرية الإنسان مقيدة، فإن في ذلك اتساق واضح مع السنن الطبيعية التي تحيط به، فثمة أمور خارج إرادته لا يستطيع أن يتحكم بها رغم أنها ملك له وليست لغيره، فقد تتضارب أو تتصادم مصالح أفراد المجتمع بعضهم ببعض، من هنا ندرك سر تنظيم الإسلام لحرية الإنسان لأنه سوف يحدث تصادماً بين الإرادات المختلفة لأفراد المجتمع مما قد يسبب زعزعة لاستقرار المجتمع، والإسلام لم يأت من أجل فرد واحد أو مجموعة قليلة من الناس، وإنما جاء من أجل المجتمع كله.

ولا أجد ضابطاً للحرية مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" {1}.

فجوهر الحرية والقاعدة التربوية التي تعلمناها هي الشراكة في الحرية "واحد يقسم والثاني يختار"، أما "أنا أقسِّم وأنا أختار" فهذا هو الاستبداد بعينه.

ومضمون القصة أن امرأة لها ولدان متنافسان جاءت لهما بتفاحة وطلبت منهما تقاسمها بينهما، فأسرع الولد الكبير المهيمن . تنفيذاً لحريته في الاختيار- إلى السكين وأراد القسمة، لكن الأم قالت بذكاء: " أحدكما يقسم والثاني يختار"، فأصبح الذي كلف بالقسمة يقيس بدقة متناهية نصفي التفاحة؛ لأنه يعلم أنه إذا انحرف عن القسمة العادلة فسيختار أخوه النصف الأكبر.

والقصة تؤكد أنه لا يجب أن تمارس من الحرية إلا ما تسمح للآخرين بممارسته، ومن يريد باسم الحرية أن يخالل الفتيات، فليذكر حق الآخرين في مخاللة أخواته وعماته وبناته، وعند ذلك سيعرف حدود

1 . رواه البخاري (12)، ومسلم (64).

الحرية، ومن يريد أن يمارس باسم الحرية في التجارة الخديعة والتغرير بالناس باسم الذكاء و"الفهلوة"، فليذكر حق الناس أن يفعلوا به مثل ذلك، وخاصة إن كانوا أكثر خبرة منه في التلاعب الاقتصادي والمالي[1].

وبهذا يتبين أن الخضوع لقيود التشريع لا يناقض في أصله مفهوم الحرية والتحرر والانطلاق، بل إن من التعاريف القانونية للحرية ما يجعل التمسك بالشرع والقانون هو عين الحرية، يقول أندريه هوريو: "إن الحرية هي التقيد الإرادي بالنظام المقرر بالقانون" [2].

ولقد نظم الإسلام الحرية من خلال مفاهيم:

1 . الحرام: كالسرقة و الزنا و شرب الخمر وقتل النفس.

2 . التكليف: فالمسلم مكلف يقوم بأعمال، و يترك أخرى فيثاب على التزامه بالقيام بهذه الأعمال، و يعاقب إن عمل ما يجب تركه، فلابد من إعطائه الحرية في الاختيار، إذ كيف يعاقب على فعل هو مجبر عليه!

3 . المسئولية: لكي يستطيع الإنسان نيل حقه من الحرية عليه مقابل ذلك واجب، و يتمثل هذا الواجب في كونه مسئولاً يتحمل تبعة فعله.

المبحث الثالث

الإيمان والعمل الصالح

وجد المؤمن لغاية سامية وهي عبادة الله تبارك وتعالى قال سبحانه وتعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} [1]، وبإيمانه يستعين على العمل الصالح لينهض بالأمة، فالإيمان حياة القلوب

1 . المفكر المغربي أبو زيد المقرئ الإدريسي: الأخلاق ..قيود خلاقة لحرية الفرد، عبدلاوي لخلافة، موقع إسلام أون لاين.

2 . القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، اندريه هوريو، ترجمة على مقلد وآخرين، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع.

وبه تسمو الأرواح، وتتفتق الأذهان، وتعلو الهمم، وتنهض الأمم، وهو السبيل إلى الحياة الآمنة المطمئنة قال الله تعالى: { **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [2].

ولا قيمة للحياة بدون إيمان، فمهما ارتقت الأمم مادياً؛ إن لم يصحب هذا الرقي المادي إيمان فإن مصير هذا الرقي المادي إلى الزوال، قال الله تعالى: { **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** } [3] وصدق محمد إقبال حينما قال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمانٌ * * * ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

ومن رضي الحياةَ بغيرِ دينٍ * * * فَقَدْ جَعَلَ الفَنَاءَ لها قَرِينَا

وحيثما يذُكر الإيمان في القرآن يذكر معه العمل الصالح لأنه ترجمةً واقعيةً؛ وتطبيقاً عمليّاً له، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ليس الإيمانُ بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال " [4].

ومن معاني العمل الصالح أن يقوم الإنسان بالواجبات قبل أن يطالب بالحقوق، " فقد أصبحنا لا نتكلم إلا عن حقوقنا المهضومة، ونسينا الواجبات، ونسينا أن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائب، بل فيما يسودنا من عادات" [5]، فكلمة الحق مغرية للانتفاعيين والانتهازيين، بينما كلمة الواجب لا

---

1 . سورة الذاريات:56

2 . سورة النحل: ٧٩.

3 . سورة الأعراف: 69.

4 . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: 1 /80، وابن أبي شيبة في المصنف: 189/7 حديث : 35211 .

5 . شروط النهضة لمالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، 1986م دمشق: 34.

تجتذب غير النافعين الذين يسعون حقاً لنهضة مجتمعهم،فأداء الواجب هو الكفيل الوحيد بالحصول على الحقوق.

ولقد وصف النبيُّ صلى الله عليه وسلم المؤمنَ **بالنحلةِ والنخلة**، فأما **النحلة** فإنها تقوم بواجبها على أتم وجه؛ سواء أعطيت حقها أم لا، فهي تقعُ على الزُّهور ولا تكسرها، وتأكلُ منها فلا تُفْسِدُها، بل تصلحُها، ولا يخرجُ من جوفِها إلا الطيّب.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لكَمَثَلِ النَّحْلَةِ، أَكَلَتْ طَيِّباً، وَوَضَعَتْ طَيِّباً، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ، وَلَمْ تَفْسُد "[1].

وأما **النخلة** فبركتها موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فلا يسقُطُ ورقُها، ولا ينقطعُ نفعُها، من حين تطلع إلى أن تيبس، حتى النوى علف للدواب، فكلُّ ما فيها نافعٌ ومفيدٌ فضلاً عن ثمرها الطيِّب الحُلْو، وكذلك بركة المؤمن عامة في جميع أحواله، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته[2].

عن عَبْدِ اللّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنّ مِنَ الشّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنّهَا مَثَلُ الْمُؤمن، فحَدّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنّهَا النّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمّ قَالُوا: حَدّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللّه؟ قَالَ : فَقَالَ «هِيَ النّخْلَةُ».

1 . أخرجه الإمام أحمد في المسند :2 / 99، برقم (6577).
2 . فتح الباري لابن حجر العسقلاني:1/ 147.

قَالَ [أي عبد الله بن عمر]: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ، قَالَ: لأَنْ تَكُونَ قُلْتَ: {هِيَ النَّخْلَةُ} أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ كَذَا وَكَذَا" [1].

وعلينا أن ننتبه إلى أن العمل الصالح لا يقتصر على الجوانب الشرعية فقط، كما سيأتي في عنصر العلم بمفهومه الشامل.

المبحث الرابع

الاهتمام بدور العقل

وخاصة في التأمل والبحث والكشف عن القوانين التي تحكم العالم، فنهضة الأمم لا تقوم على العشوائية بل هي نتيجة الأخذ بالسنن الإلهية في الكون.

ولقد اهتم القرآن الكريم بدور العقل فقال الله تعالى: {**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**}[2].

فبين الباري جل جلاله أن السبب في جَعْله القرآن عربياً؛ هو أن يفهمه ويعقله أولئك المتحدثون بهذه اللغة؛ لاستخلاص العبر الصحيحة مما جرى في التاريخ من الحوادث، قال الله تعالى: { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ**} [3].

وقال سبحانه وتعالى عن قرى قوم لوط: {**وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**} [4]، فيشير سبحانه وتعالى هنا إلى الذين لم يدركوا مغزاها بسبب إنكارهم للبعث.

---

1. أخرجه البخاري (131)، ومسلم (2811).
2. سورة يوسف: 2.
3. سورة يوسف: 109.
4. سورة العنكبوب: 35

إن الإسلام لا يحجر على العقل، ولا يحبسه في قمقم الأساطير والخرافات والأوهام، لأن العقل البشري إذا تربى في مدرسة القرآن فإنه يستطيع أن يتفهم الحقائق والسنن الكونية، فيتطور في تفكيره ويطور وسائل العيش والحياة ويسخره في خدمة الإنسان وتعمير الأرض.

وهذا ما وضحه الراغب الأصفهاني بقوله:

"اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأُس، والشرع كالبناء، ولن يغني أسٌّ ما لم يكن بناءٌ، ولن يثبت بناءٌ ما لم يكن أسٌ. وأيضاً فالعقل كالبصر، والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، ولهذا قال الله تعالى: **{قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [1]. وأيضاً فالعقل كالسراج، والشرع كالزيت الذي يمده، فإن لم يكن زيت لم يحصل السراج، وما لم يكن سراج، لم يضئ الزيت. قال الله تعالى: **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ}** [2]. والله هو الهادي. وأيضاً فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان بل متحدان، ولِكَوْن الشرع عقلاً من خارج، سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله: **{صمّ بكمٌ** عميٌ **فَهُمْ لا يَعْقِلُون}** [3] ولكون العقل شرعاً من داخل قال في وصف العقل: **{فِطْرَتَ اللَّهِ** الَّتِي **فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا**

1 . سورة المائدة: 15. 16.

2 . سورة النور: 35.

3 . سورة البقرة: 171.

تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [1] فسمي العقل ديناً، ولكونهما متحدين قال: {**نورٌ على نور**} أي نور الشرع ونور العقل ثم قال: {يهدي الله لنوره من يشاء}. فجعلهما نوراً واحداً، فالشرع إذا فُقد العقلُ عجز عن أكثر الأمور؛ عجزَ العين عند فقد الشعاع" [2].

وعلينا أن نعلم أنه ليس للعقل دور في كل العلوم على سواء، فالعلوم ثلاثة أقسام:

1. العلوم الضرورية: وهي التي لا يمكن التشكيك فيها، إذ إنها تلزم جميع العقلاء ولا تنفك عنهم، كعلم الإنسان بوجوده، وأن اثنين أكثر من الواحد، مما يسمى بقوانين العقل الضرورية.
2. العلوم النظرية: وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال، وهذا النظر لا بد في تحصيله من علم ضروري يستند إليه حتى يعرف وجه الصواب فيه، ويدخل في هذا القسم كثير من العلوم كالطبيعيات والطب والصناعات، فهذه العلوم؛ للعقل مجال رحب في معرفتها وإدراكها والتوسع فيها.
3. العلوم الغيبية: وهذه لا تُعْلم بواسطة العقل المجرد وحده، بل لابد للعقل إذا أراد أن يعلمها أن يكون له طريق آخر للعلم به؛ كعلمه بما يكون في البلد القاصي عنه، وعلمه بما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وهذا لا يعلم إلا عن طريق الخبر، ويدخل في هذا القسم كثير من مسائل الاعتقاد لاسيما التفصيلية منها، فهذه لا يستقل العقل بمعرفتها؛ بل لا بد من اعتماده على الوحي [3].

إن العقل الذي أصبح مسلماً قد قرأ ووعى وتدبر، فأبدع علوم الحضارة، وأقام صروح النهضة، فبهذا العقل الإيماني نهض علماء الإسلام بالأمة، وقدموا أروع الصناعات والاكتشافات العلمية والطبية، أمثال

---

1 . سورة الروم: 30.

2 . تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الراغب الأصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983: 73.

3 . انظر : الاعتصام للشاطبي: 3/ 397-398.

جابر بن حيان والحسن بن الهيثم المؤسس الحقيقي لعلم الفيزياء والبصريات، وابن النفيس وأبو الريحان البيروني وغيرهم.

المبحث الخامس

التربية والأخلاق

لأن الأخلاق وسيلةٌ جليلةٌ للنهضة والرقي، والصلاح والفلاح، وبها نهض أسلافنا وتقدَّموا، وانتشرت دعوة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وفي ذلك قال الله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [1].

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:« إنما بُعِثْتُ لأتمِمَ مكارمَ الأخلاقِ» [2].

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: «أحسنُهُم خلقاً» [3].

وصدق من قال:

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت* * * فإن همُ ذهبت أخلاقهمُ ذهبوا

والتربية قبل العلم، لأن التربية تعطي النهضوي ملكات يستطيع من خلاله التحول من الغثائية إلى القوة الفاعلة، فكل أمر ونهي له مردود تربوي لتزكية النفس، لذا ينبغي أن نأخذ بالوسائل التربوية الأصيلة التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وسنها لنا، كالصلوات الخمس وإحياء الليل والالتزام بأذكار الصباح والمساء وغير ذلك.

ولابد أن نلحظ بعض الأخطاء التربوية لتجنبها أثناء القيام بالنهضة [1]:

---

1 . سورة الأنبياء: 107

2 . أخرجه البخاري في الأدب المفرد 273، وابن سعد في الطبقات 192/1، والحاكم 613/2 وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. والإمام احمد 318/2، ومالك بلاغاً في الموطأ 904/2 في حسن الخلق، وقال الحافظ ابن عبد البر: وهو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره.

3 . أخرجه أبو داود(4682)، والترمذي (1162) وقال: حسن صحيح.

1 . تبرير الفشل: يجب على النهضوي أن يمتلك أدوات المراجعة والتقويم العلمي، وأن يتزود بأدوات فن الاختلاف لاكتشاف الحقائق.

2 . عدم السير في الطرق المسدودة كما يجد بعض النهضويين أماكن مسدودة في مناطق معينة من العالم، فليس من الحكمة أن تستمر في السير لتتكرر النتائج ذاتها.

3 . عدم استخدام التربية أداة من أدوات الضبط والتحكم فقط، لئلا تؤدي الطاعة العمياء إلى التخلف، بل لا بد أن تكون الغاية من التربية هو الوصول إلى الأهداف على بصيرة لتحقيق الغرض الأساسي منها، وبذلك تتم النهضة الحقيقية.

4 . الوصفة اليتيمة: يظن بعض المربين أنه ينبغي على الأتباع أن يمروا بالمراحل نفسها التي مر هو بها لكي تحسن تربيتهم، وهذه الوصفة الوحيدة في التربية من الأخطاء فهناك من الأتباع من هم من أهل العلم ومنهم من ليسوا كذلك، فرب إنسان ترفع إيمانه العبادة، ورب آخر ترفع إيمانه الدعوة إلى الله، ورب ثالث يرفع إيمانه تدريب الجيل على الوسائل الحديثة لنشر الدعوة، علاوة على ذلك ينبغي مراعاة أعمارهم فمن في سن الخامسة والعشرين لا يعامل كمن عمره تجاوز الخمسين.

5 . الفهم الخاطئ لمصطلح { القاعدة الصلبة} ويعنون بهذه القاعدة الفترة السرية التي قضاها المسلمون في مكة المكرمة، فينبغي ألا تكون هذه القاعدة حائلاً دون البذل والعطاء والعمل بحجة التكوين، فبعض الصحابة لم يتلق أي قسط من التربية الطويلة، فما أن أسلم حتى صُب عليه العذاب صباً، وإذا كان الخلفاء الراشدين الأربعة هم أبطال تكوين القاعدة الصلبة؛ فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يشهد هذه المرحلة، بل منذ لحظة إسلامه قال للرسول صلى الله عليه وسلم: ألسنا على حق؟ لم نرض الدنية في ديننا !!

---

1 . قوانين النهضة، د. جاسم سلطان:11.

ولم نسمع عن صحابي انكفأ على نفسه، لأن الإحجام لم يُرَبِّ يوماً من الأيام صحابياً، فهو قاعدة القاعدين، والذين يستخدمون مصطلح {القاعدة الصلبة} إنما يريدون تبرير السكون، وعدم الإقدام والتقدم والنهضة.

المبحث السادس

العلم بمفهومه الشامل

العلم هو طريق النهضة والتقدم والحضارة، وسبيل القوة المادية والروحية، لذلك كانت أول رسالةٍ وأول آيةٍ نزل بها الروح الأمين على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت دعوةً للعلم.

قال الله تعالى: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** }[1] .

فكانت أولُ كلمةٍ وأولُ أمرٍ وأولُ توجيهٍ: {**اقرأ**}، ثم تكرر الأمرُ بالقراءةِ، وجاء الربط بين نعمة الوجود ونعمة العلم، وتكررت كلمة العلم ثلاث مرات، وكل هذا تقريرٌ لهذه القيمة العظيمة للعلم وتنويه لشرفه ومزيَّته.

والتعليم أساس كل تطوير وتقدم، لأن التعليم يوفر للإنسان قاعدة مهمة للوعي، وليس كل العلم مفيد، بل العلم سلاح ذو حدين، إن استخدمه الإنسان في ماهو نافع للأمة؛ فهو العلم النافع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلبه في الدعاء: {اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَرِزْقًا طَيِّبًا وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً} [2].

1 . سورة العلق: ١- ٥.

2 . أخرجه ابن ماجه (915).

وهناك من العلوم ما هو غير نافع بل هو ضار وبلاء وهلاك، كعلم السحر، قال الله تعالى: { **وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** } [1].

وكذلك من العلم الضار، العلم الذي يجعل الإنسان باغياً، قال الله تعالى: {**وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ** }[2] أي بغياً على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها.

فالعلم الذي تنهض به أمتنا هو كل علم نافع للناس في دينهم ودنياهم ، قال الله تعالى: { **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً** } [3] أي: أسترشدُ به في ديني ودنياي، والذين يركنون لحديث { إنا أمة أمية .. } مستدلين بذلك على عدم أهمية العلم؛ قد جانبهم الصواب، لأن الحديث كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنَّا أمَّة أمِّيَّة لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين" [4].

وقد ورد هذا الحديث في مسألة دخول الشهر الهلالي، وهو يدل على أنه لا يُلتفت في معرفة دخول الشهر إلى الحسابات الفلكية، وإنما يُعتمد على الرؤية الظاهرة للقمر عند ولادته فنعرف دخول الشهر، فالحديث سيق لبيان أنّ الاعتماد على الرؤية لا على الحساب؛ ولم يأت لحثّ الأمة الإسلامية للبقاء على الجهل وترك تعلّم الحساب العادي وسائر العلوم النافعة، وكثير من الصحابة كانوا يقرؤون ويكتبون، فينبغي أن يتعلم المسلمون اليوم من العلوم المختلفة التي تفيدهم في دنياهم كالطب والهندسة والزراعة وغيرها، لأن الإسلام دين العلم.

---

1 . سورة البقرة: 102

2 . سورة الشورى: 14.

3 . سورة الكهف: ٦٦.

4 . أخرجه البخاري برقم (1780) ومسلم برقم (1806) .

والعلم مرتبط بالعمل، فلا علم من دون العمل به، ولا عمل من دون علم يرشده ويعصمه، وكلاهما وجه لعملة واحدة هي المعرفة.

ومن صميم العلم أيضاً علينا أن نصحح بعض المفاهيم التي حرفت كمفهوم التواكل والدعاء مع ترك العمل، والتعبد بأقوال السابقين دون فهم؛ والغفلة عما استجد من قضايا معاصرة.

كما ينبغي ألا يمنعنا شيء من الاستفادة المثلى من الحضارات الأخرى، ومن الخطأ أن نقف منها موقف المعارضة؛ إذا لم تعارض ديننا الحنيف وقيمنا الأصيلة، لأنها تصب في مسار النهضة الإسلامية، وهذا يحملنا على النظرة الموضوعية الصادقة لما حولنا من حضارات.

المبحث السابع

العدل

قال الله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...**} {1}.

وقال سبحانه وتعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ**} {2} والقسط هو العدل، والقيام بالقسط هو العمل به على أتم وجه.

ولابد من العدل في الغضب والرضا، والعدل واجب حتى مع الكافر، قال الله تعالى: { **وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** } {3}.

والعدل يكون بالقول والفعل، قال الله تعالى: {**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**} {1}.

---

1 . سورة النحل:90.

2 . سورة النساء: 135.

3 . سورة المائدة : 8.

وقال عليه الصلاة والسلام: "سبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ... "[2].

وذكر الإمام العادل في أول الخصال لعظم أمر الإمامة والعدل فيها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" كلُّ سُلامَى مِنَ النّاسِ عليْهِ صَدَقةٌ، كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فيه الشمس، تعدل بين اثنين صدقة" [3].

واعتبر الإسلام عدم العدل بين الأولاد من ظلم الوالد سواء في الهبة أو المعاملة ونحو ذلك، ولهذا جاءت أوامر النبي صلى الله عليه وسلم للوالد بأن يعدل بين أولاده، فقال : " فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" [4].

وقال لمن أراد إشهاده على عطية خصَّ بها بعض ولده: " فلا تشهدني إذن فإني لا أشهد على جور"[5].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن – عز وجل– ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا "[6].

لذلك صبّ الله تعالى نقمته على الظالمين، فطردهم من رحمته، وهي التي وسعت كل شيء، فقال الله تعالى: {**فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**} [7]، حتى قال تعالى عن أصحاب

---

1 . سورة الأنعام:152.

2 . أخرجه البخاري (1334)، ومسلم (2313).

3 . أخرجه البخاري (2508)، ومسلم (1677).

4 . أخرجه البخاري (2398).

5 . أخرجه مسلم (3056).

6 . أخرجه مسلم (3406).

7 . سورة الأعراف:44

الأعراف: {**وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ** }[1].

وقال أيضاً: {**يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**}[2] لأن الظلم مدعاة للفوضى والتقاتل، وسبب هلاك الأمم وخراب الديار، قال الله تعالى: {**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**}[3].

ولقد ذكر ابن خلدون في {المقدمة} تحت فصل {الظلم مؤذن بخراب العمران} قصة جميلة، عن الموبذان مع الملك بهرام أنه سأله عن لسان الحيوانات، فقال له عن طير أنه البوم وهو يغازل بومة يخطب ودّها ويطلب يدها :

فشرطت عليه مهراً.

قال الملك: وماذا طلبت منه؟

قال لقد اشترطت لزواجها خراب عشرين قرية.

فقال لها: إن أدام الله حكم الملك بهرام فهو يعدها بخراب ألف قرية.

تعجب الملك من الخبر وأدرك أن خلفه سراً فأخذ الموبذان وتكلم معه على انفراد، قال: ويلك ما هذه الحكايات التي ترويها وهل تظن أنني سأصدق هذا؟ فأخبرني بالخبر اليقين عمّا وراء الكلمات؟

قال: أعز الله الملك إنه لا قوام للملك بدون شريعة، ولا تقوم الشريعة بدون الحكم، ولا قيام للحكم إلا بالجند، والجند يحتاجون الرواتب، وهذه لها مصادرها من العمارة ولا عمران بدون عدل، فالعدل هو

1 . سورة الأعراف: 47.
2 . سورة غافر:52.
3 . سورة النمل:52.

الأساس الذي قامت عليه السموات، وأنت أيها الملك قد أفسد من حولك الحياة، وصادروا الضياع والتجارات وظلموا العباد، فانتبه الملك وأقبل على رعيته وأصلح أمور مملكته{1}.

وإذا ألقينا نظرة على حياة الخلفاء الراشدين نجدهم قد أذِنوا للرعيّة في مقاومتهم إذا ظلموا، أو انحرفوا عن أحكام الشريعة . وحاشاهم من ذلك . لأنّ تبديل أحكام الدين أو تعطيلها، هو تَعَدٍّ لحدود الله، وهو القائل عزّ وجل: {**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** } {2}.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: "إن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوّموني"{3}.

فأقرّ –رضي الله عنه– مبدأ مقاومة الحاكم إذا زاغ عن الطريق السويّ.

يقول ابن تيمية:

" وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق ؛ وإن لم تشترك في إثم ، ولهذا قيل:إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام " {4}.

ولهذا لما اشتهر كسرى أنو شروان بعدله مُكِّن له في الملك، واستطاع أن يحتل بلاد العراق والشام. ويقول حافظ إبراهيم:

أتى عمر فأنسى عدل كسرى * * * كذلك كان عهد الراشدينا

---

1 . انظر: تاريخ ابن خلدون، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية : 144 ملخصاً.

2 . سورة البقرة: 229.

3 . السيرة النبوية لابن هشام: 4 /369 .

4 . مجموع الفتاوى لابن تيمية: 28/ 146 في رسالة الحسبة.

ولا يزال تاريخ الصليبيين الأوائل ينطق بعدل صلاح الدين ،ونور الدين وقد عجبوا من هذه الأمة كيف تعيش هذه الحياة الكريمة؟

وكيف تعدل هذا العدل الذي هو من شيم الأنبياء، لا من شيم ملوك الدنيا كما عبَّروا هم بذلك، وكثيرٌ منهم بقي في بلاد العالم الإسلامي، وأسلم لما رأى تلك الحياة الكريمة، وتلك العدالة التي تنشدها النفوس ولم تجدها إلا في ظل هذا الدين .

إن ركيزة العدل يجب أن تكون من أولويات التفكير النهضوي في المجتمعات الإسلامية، لأنه اسم من أسماء الله الحسنى، والعدل أساس الكون وبه قوامه، ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم.

فكل الكتب السماوية تدعو أن يقوم الناس بالقسط، وإذا افتُقد العدل تحت أي مسمى أو شعار ديني أو مذهبي أو طائفي فلابد أن تنتكس الأمور بعد ذلك.

المبحث الثامن

وحدةُ الأمة الإسلامية

الوحدة الإسلامية من أهم مقومات النهوض الحضاري، لأن هذه الأمة تمتلك جميع مقومات الوحدة، فدينها واحد، ولغتها واحدة، ومنهجها واحد، وقبلتها واحدة، ورسالتها واحدة، وتاريخها واحد، قال الله تعالى: **{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}** [1].

وقال سبحانه وتعالى: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فاعبدون}** [2].

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة عقد معاهدات كثيرة مع أعدائه، بغية صرف الهمم لنشر الدعوة الإسلامية سلماً لا حرباً، إلا أنه واجه من يهود المدينة وما حولها العناد

1 . سورة المؤمنون: 52.

2 . سورة الأنبياء: 92.

والإصرار على الكفر والعدوان، فعاهد المشركين في الحديبية عشر سنين بشروط تساهل فيها عليه الصلاة والسلام عن قوة وعزة، لا عن ضعف وذلة، ولكن حباً في السلم وتفادياً لإراقة الدماء، وتمكيناً لنشر الدعوة بالإقناع والحجة، لكنهم نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل الوحي يوجب الاعتصام بحبل الله المتين ويكشف غدرهم فقال سبحانه وتعالى: { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } [1].

أمر الله المسلمين على تباعد ديارهم ، وتعدد أجناسهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، أن يكونوا كتلة واحدة، قوية العقيدة، قويمة الخلق، متينة الروابط، عزيزة الجانب، يتساوى أفرادها في الحقوق والواجبات، يتعاونون على جلب الخير ودفع الشر، فشرع لهم من الأحكام والتعاليم ما يجمع شملهم، ويوحد كلمتهم ، ويضم شتاتهم، ليكون التكاتف وثيق العرى، عظيم النفع ، ففرض صلاة الجمعة والحج لبيت الله الحرام، وندب إلى صلاة الجماعة وحث عليها، وأنذر المتخلف عنها بالخسران، لأنه يقع فلا يجد من يعينه، لأنه تخلف عن الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية [2].

فهذه الآية تضمنت الدعوة إلى توحيد الكلمة حول كلمة التوحيد، والتمسك بمحور واحد، والتوجه نحو قبلة واحدة، والتجمع حول هدف واحد، ولا شك أن حبل الله هو القرآن الكريم ، لقوله عليه الصلاة والسلام: " القرآنُ حبلُ الله المتينُ لا تنقضي عجائبُه ولا يخلَقُ من كثرة الردِّ، مَنْ قال به صدَقَ، ومن عمِل به رَشَد، ومن اعتصم به هُديَ إلى صراط مستقيم " [3].

---

1 . سورة آل عمران: 103.

2 . وحدة الأمة الإسلامية في القرآن الكريم، السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشم، بحث مقدم للملتقى الأول لعلماء المسلمين تحت عنوان: وحدة الأمة الإسلامية، المنعقد بمكة 1427هـ 2006 م، الطبعة الأولى، مطابع رابطة العالم الإسلامي: 10.

3 . أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب فضائل القرآن:7 /165.

وأصل الحبل: السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة، وكل من يمشي على طريق دقيق يخاف أن تزلق رجله عنه إذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن الخوف، ولا يخفى دقة الصراط بما ورد به النقل الصحيح [1].

أنزل الله القرآن الكريم فوحد به الشعوب النائية، فقضى على العصبية،{ إذ كنتم أعداء} في الجاهلية { فألف بين قلوبكم} في الإسلام، {فأصبحتم } أي فدخلتم في الصباح، وجعلكم { بنعمته إخواناً} أي سواسية، والإخوان جمع أخ وأكثر ما يجمع أخو الصداقة على ذلك على الصحيح[2]وجمعت "إخواناً" لعظم أمر الأخوة.

وقال سبحانه وتعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** } [3] فلا حكم إلا لله، وأكرمُ الناسِ أتقاهم.

وأمر الله المسلمين بالاتحاد والتعاضد، ووطد دعائم هذا الاتحاد على مبدأ الأخوة، فقال الله سبحانه وتعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** } [4].

---

1 . أنظر: تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (ت 885 هـ). وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال – صلى الله عليه وسلم – : (فيمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، قال: فيقال: انجوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الرحل، ويرمل رملاً فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، يجر يداً ويعلق يداً، ويجر رجلاً ويعلق رجلاً، فتصيب جوانبه النار) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

2 . وفي «الاتقان للسيوطي» الأخ في النسب جمعه إخوة وفي الصداقة إخوان، قاله ابن فارس . وخالفه غيره . وأورد في الصداقة{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }[سورة الحجرات: 10] وفي النسب{ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ }[سورة النور: 31].

3 . سورة الحجرات: 13.

4 . سورة الحجرات: 10.

وجعل محبة بعضهم لبعض شرطاً للإيمان فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" {1}.

وبين الباري جل جلاله في كتابه الكريم بأنه يحب أولئك الذين يقاتلون في سبيله صفاً واحداً، ورأياً واحداً، وقلباً واحداً لا يتسرب الخلاف إلى نفوسهم، ولا يتسلل النزاع إلى صفوفهم، فقال جل جلاله: {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**} {2}.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً، وشَبَّك أصابعَه" {3}.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: " مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " {4}.

وحذر من الاختلاف والنزاع لأن عاقبتهما الفناء والهلاك فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا " {5}.

ومن أجل المحافظة على عروة الإخاء أن لا يصيبها وهن ولا ضعف؛ أوجب على المؤمنين إذا ما نشب نزاع بين فئتين أن يهبوا لإصلاح ذات البين لئلا يستفحل الشر الذي يهدد وحدة الأمة، وأن لا

---

1 . أخرجه مسلم برقم:(81).

2 . سورة الصف: 4.

3 . أخرجه البخاري (459)، ومسلم (4684).

4 . أخرجه البخاري (5552)، ومسلم (4685)، وأحمد (17654).

5 . أخرجه البخاري (2233).

يقفوا مكتوفي الأيدي فقال سبحانه وتعالى: { **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** } {1}.

فالإصلاح واجب شرعي لحفظ وحدة الأمة وتضامنها ووحدة كلمتها، ومما يدل على أهمية الإصلاح ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا :بلى قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة " {2}.

واليهود أعداء المسلمين منذ فجر تاريخهم، لما رأوا الأوس والخزرج توحدوا واجتمعوا بعد تفرقة، وائتلفوا بعد خصام، أدركوا بأن الخطر قد أحدق بهم، وذلك لأنه لا حياة لهم إلا إذا تفرق العرب والمسلمون.

روى الطبري بسنده عن زيد بن أسلم قال: مر شأس بن قيس – وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم– على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة – يعني الأنصار الأوس والخزرج– بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود وكان معه فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم فذكرهم يوم { بعاث} وما كان قبله – وهو يوم اشتدت الحروب فيه بين الأوس والخزرج في الجاهلية وتطاولت مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام – وأنشِدْهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا، وقال بعضهم لبعض: إن

1 . سورة الحجرات:9.

2 . أخرجه الترمذي (2433) وأبوداود (4273).

شئتم رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الحرة فخرجوا إليها وتحاوز[1] الناس على دعواهم التي كانت في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم فقال:يا معشر المسلمين الله الله.. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟!

فعرف القوم أنها نزغة[2] من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، وقد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس".

وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }** [3].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: **{لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ }** [4].

---

1 . قال ابن منظور في لسان العرب: " تحاوز الفريقان في الحرب أي انحاز كل فريق منهم عن الآخر".اهـ

2 . قال ابن منظور في لسان العرب: " النزغ : أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم . ونزغ بينهم ينزغ وينزغ نزغا : أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض . والنزغ : الكلام الذي يغري بين الناس . ونزغه : حركه أدنى حركة . ونزغ الشيطان بينهم ينزغ وينزغ نزغا أي أفسد وأغرى . وقوله تعالى : وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، نزغ الشيطان : وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي ، يعني يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه ، وقال الزجاج :معناه إن نالك من الشيطان أدنى نزغ ووسوسة وتحريك يصرفك عن الاحتمال ، فاستعذ بالله من شره وامض على حكمك".

3 . سورة آل عمران: 103.

4 . سورة الأنفال: 63.

وتذكرنا هذه الحادثة بالقصة المشهورة في الصحيحين عندما كسع [1] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: " ما بال دعوى الجاهلية دعوها فإنها منتنة " [2] مع أن هذه الأوصاف " الأنصار والمهاجرين " أوصاف يحبها الله ورسوله، فإنَّ الله عز وجل سمَّى المهاجرين والأنصار بهذا الاسم فقال سبحانه وتعالى: {**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ** } [3] ومع ذلك لما أصبحت الدعوة هنا على غير حقٍ بل تعصب للباطل، أصبحت من دعوى الجاهلية المنتنة.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فهاهم اليهود اليوم لا يهدأ لهم بال، لأنهم يعتقدون بأنهم لا بقاء لهم ولا حياة إلا إذا استحكم النزاع والخلاف بين العرب والمسلمين، فوحدة العرب والمسلمين يقض مضاجعهم، واتفاق كلمة المسلمين يعكر صفو حياتهم، لذلك يعملون ليل نهار لدب الخلاف وتوسيع النزاع بين العرب والمسلمين، وهدم بنيانهم المرصوص، بل تجرأ بعضهم ونادى بهدم الكعبة المشرفة، فقومه يدعون لنبذ الكراهية، وهو يعمل على إشعال أتونها.

لذا ينبغي على العرب والمسلمين أن يواجهوا هذا التحدي الظالم، الذي اكتووا بنار حممه، أن يلتفوا ويعتصموا بحبل الله الذي يدعوهم إلى توحيد الصف والكلمة، وأن يحس المؤمن بإحساس أخيه، ويشعر الفرد بشعور الجماعة، وكل قطر ودولة بشعور بقية الأقطار.

ولا ينبغي أن يغرب عن أذهاننا أن هناك فرقاً بين الوحدة والتحالف، فالوحدة التي تقوم على أساس مواجهة العدو المشترك لا تسمى وحدة؛ بل تحالفاً بين أناس تجمعهم قواسم مشتركة؛ تتمثل في

---

1 .كسع: أي ضرب الدبر باليد أو الرجل.

2 . أخرجه البخاري: (4525)، ومسلم (4682).

3 . سورة التوبة :100.

وجود هذا الخطر والعدو، حتى إذا ما زال الخطر أو العدو لم يكن للوحدة مبررها، فتعود الصراعات إلى سالف عهدها، ويعود التشتت والتفرقة مرّة أخرى.

أما الوحدة الإسلامية فينبغي أن تبنى على مشروع نهضوي رسالي، يقوم على تحليل الواقع، ومعرفة طبيعة الصراعات والنزاعات فيه، وتحديد النقطة التي وصلت إليها البشرية في الشرق والغرب تمهيداً لإيجاد البديل الأعدل والأنفع والأرحم للناس جميعاً، قال الله تعالى: {**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فيه**}[1].

وحتى يكون عملنا تطبيقاً صحيحاً للقرآن والسنة، علينا أن نعتصم بحبل الله ونتبع صراطه المستقيم، وأن نبتعد عن سبل الضلال والزيغ، قال الله تعالى: { **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** }[2].

والصراط المستقيم هو صراط الله وسبيله ظاهر الاستقامة، لا يضل سالكه لأنه واسع ومستقيم يوصل إلى الهدف المقصود بأقرب مسافة.

ولقد أفرد الصراط في الآية لأنه صراط الحق؛ والحق واحد لا يتعدد، وجَمع السبل؛ لأنه الباطل وهو الذي يخالف الحق، وهو كثير.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا فَقَالَ : " هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ " . ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا يَمِينًا وَشِمَالاً، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ؛ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا

1 . سورة البقرة: 214.

2 . سورة الأنعام: 153.

شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: { **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** } [1]".

فزيادة الوعي الديني والثقافي والعلمي لدى المسلمين هو خير وسيلة للوحدة الإسلامية، لأن العودة إلى الإسلام هي العودة إلى الوحدة، ولو أدرك المسلمون حقيقة الإسلام وما يدعو إليه لما تفرقوا ولأصبحوا أعظم قوة في العالم وأرقى الشعوب وأنجحها.

المبحث التاسع

التوازن

إن سمة الإسلام، هي التوازن في كل الآفاق والنواحي، والاعتدال بين أشواق الروح وحقوق الجسد، وبين بواعث الدين ومطالب الدنيا، وبين العمل لهذه الحياة، والعمل لما بعدها، ولم يطلب الإسلام من المسلم أن يكون راهباً في دير، لا حظ له في الحياة، وإنما طلب منه أن يكون إنساناً عاملاً فعالاً في الحياة، يعمرها ويسعى في مناكب الأرض، ويلتمس الرزق في خباياها، وكل هذه المطالب الدنيوية الفانية، وحقوق الجسد، لا تشغله عن مطالب وحقوق الروح، وحقائق الآخرة الباقية.

قال الله تعالى: {**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**} [2].

وقال جل جلاله : {**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المسرفين**} [3].

---

1 . سورة الأنعام : 153، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (3928)، والدارمي برقم: (204).

2 . سورة القصص: 77 .

3 . سورة الأعراف: 31.

ومن هنا نعرف أن مهمة العبادات التي كلفنا الباري جل جلاله بها، هي أن تأخذ بيدنا حتى لا تغرقنا أعمال الدنيا في لجة النسيان، فالصلاة مثلاً تقوم بالتنبيه والتذكير لمن نسي مولاه أو غفل عن أخراه، ثم تدع الإنسان يعود بعد أدائها إلى دنياه ساعياً لرزقه، ولقد وضع القرآنُ المسلمَ في وضعه الرشيد بين الدين والدنيا، فقال تعالى: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[1].

هذا هو شأن المسلم، عمل وبيع قبل الصلاة، ثم صلاة وسعي إلى ذكر الله تعالى، ثم بعد انقضاء الصلاة ينتشر في الأرض، ويبتغي من فضل الله، وفضل الله هنا هو: كسب الرزق.

وهكذا المؤمن، طالب دنيا وآخرة، يطلب الحسنة في الحياتين، والسعادة في الدارين، ومن دعائه: **{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** [2].

و"**حسنة الدنيا** " واسعة المعنى، فتشمل العافية، والسلامة، والمرأة الصالحة، والزوج الصالح، والأولاد الأبرار، والعلم النافع، والرزق الواسع، والمحبة والألفة بين الناس، وكل ما يحقق السعادة في الدنيا، و"**حسنة الآخرة** " هي الفوز برحمة الله جل جلاله ورضوانه.

ولا يمكن لأي حضارة أن تنفصل فيها الأشكال المادية التنظيمية عن القيم المعنوية " فليس هناك عمارة مادية أو تنظيمية غير مرتبطة بقيم معينة في حياة الناس، متأثرة بها ومؤثرة فيها، كذلك فإن القيم لا تعيش في فراغ، إنما تعيش وتبرز في كيان مادي وتنظيمي" [3].

---

1 . سورة الجمعة: 9-10.

2 . سورة البقرة: 201.

3 . واقعنا المعاصر ، محمد قطب، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، 1407 هـ : 101.

لقد قامت الحضارة الإسلامية على أعظم قدر من القيم تقوم عليه حضارة في تاريخ البشرية، ولعل هذه القوة التي انطلقت بها الحضارة الإسلامية في إعمار الأرض، عمارة مادية ومعنوية من صناعة وتجارة، وحركة علمية وجغرافية اكتشفت بها مجاهيل الدنيا، وحددت الحدود والمواقع التي كانت أساس الاكتشافات الغربية في القرن التاسع عشر.

وفي كل الحضارات لم يستطع الكم الهائل من الإنتاج المادي الذي وصلت إليه، أن يعوض التخلف الروحي والمعنوي، وتحقيق التوازن الحضاري، الذي يؤدي فقده إلى الانهيار والسقوط.

ولا ريب أن إنجازات العلم المادي في عصرنا إنجازات هائلة، لو ذكر عشر معشارها لمن كان قبلنا لاتهموا قائله بالجنون، وهي تدخل تحت قوله تعالى في القرآن: {**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**} [1].

وفي أكثر من كتاب ومحاضرة للمفكر الفرنسي روجيه جارودي، حمل على الحضارة الغربية، وسماها الحضارة الفرعونية، فقد تهيأ لها العلم، ولم تضم إليه الحكمة، وعنيت بالآلة ولم تعن بالإنسان، ولاسيما الحضارة الأمريكية التي تقوم على تأليه الدولار، ووحدانية السوق بدلاً من وحدانية الله، وقد ألف أخيرًا كتاب {أمريكا طليعة الانحطاط}.

أما جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي الشهير في عهد الرئيس الأميركي: أيزنهاور صاحب كتاب {حرب أم سلام} فقد خصص فصلاً من كتابه بعنوان {حاجتنا الروحية} بيَّن فيه ما ينقص أمريكا، فقال:

"إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي، فبدونه يكون كل ما لدينا قليلاً، وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم،

1 . سورة النحل: 8.

أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم، أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أو القنابل مهما بلغت قوتها" {1}.

فاستخلاص الطاقات الكونية المادية ليست هي أهم ما يقوم به الإنسان في سبيل النهضة والتحضر، ولو وصل إلى القمر أو المريخ.. وإنما الأهم من ذلك هو الغاية التي تسعى إليها الحضارة، والأسلوب الذي تسير عليه بجانبيها المادي والمعنوي في توازن واستقامة، وكذلك القيم المعنوية والنظم العادلة وحدها لا تملأ المعدة الخاوية إن لم يكن هناك خبز، ولا تسير السيارات والقطارات والطائرات إن لم يكن هناك قوة وقود، والإنسان بدون القيم المعنوية يهبط إلى أسفل السافلين في الحياة الحيوانية، ويعيش عيشة الضنك والشقاء، ولعل الحضارة الغربية المعاصرة هي عنوان هذا الانحراف والانزلاق.

ولكن هل استطاعت هذه الحضارة والعلم المادي، أن يحقق للإنسان السعادة ؟

" الواقع المر يقول: لا. فإن العلم بمفهومه الغربي – وهو علم مادي بحت – وفر للإنسان راحة الجسم ولم يوفر له راحة النفس، حقق له الرفاهية المادية ولم يحقق له السكينة الروحية، هيأ له الوسائل والأدوات ولم يهيئ له المقاصد والغايات؛ ولهذا عاش الإنسان مزوق الظاهر، خرب الباطن، أشبه بقبور العظماء، مشيدة مزخرفة، وليس فيها إلا عظام نخرة.

ومن ثم رأينا الناس الذين يعيشون تحت سلطان هذه الحضارة يشكون من القلق، والاكتئاب، والخوف، والأسى، واليأس، والغربة النفسية، والشعور بالضياع وتفاهة الحياة، يحسون أن هذه الحياة لا هدف لها ولا رسالة ولا طعم ولا معنى، وهذا يحطم الإنسان من داخله.

---

1 . مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، ربيع الثاني 1430 هـ أبريل 2009 م، العدد: 4، السنة: 3، بحث بعنوان: الماديَّة المعاصرَة وَطَوق النَّجاةِ ، د. يوسف القرضاوي، ودعوة الإصلاح بين أصحاب النظرة المادية والنظرة الربانية، جمعة أمين عبد العزيز، موقع المنارة للإعلام.

ولا غرو إن كثرت العيادات النفسية والعصبية، حتى غدت تعد بالألوف، ومع هذا لا تكفي زائريها، وقلما يجدون عندها ما يشفي عليلاً، أو يروي غليلاً " [1].

ولقد قال الشاعر الهندي الكبير طاغور لأحد مفكري الغرب: صحيح أنكم استطعتم أن تحلِّقوا في الهواء كالطير، وأن تغوصوا في البحر كالسمك، ولكنكم لم تحسنوا أن تمشوا على الأرض كالإنسان [2].

بل وجدنا من النقاد الغربيين أنفسهم من يشكو من الخواء الروحي في هذه الحضارة، بل من يدقون جرس الإنذار محذرين من التمادي في هذه الحياة المادية الإباحية النفعية، التي لا تطمئن الإنسان من قلق، ولا تؤمنه من خوف.

ومن ذلك ما قاله الفيلسوف الأمريكي الشهير جون ديوي: "إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها، ولا تثق بقوة هذا العلم في خلق قيم جديدة، لهي حضارة تدمر نفسها بنفسها"[3].

وأوضح منه ما قاله المؤرخ البريطاني المعاصر أرنولد توينبي؛ إذ ينقل عنه الكاتب الأمريكي كولن ولسون مقولته: "لقد أغرت فنون الصناعة ضحاياها، وجعلتهم يسلمونها قياد أنفسهم، ببيعها المصابيح الجديدة لهم مقابل المصابيح القديمة، لقد أغرتهم فباعوا أرواحهم وأخذوا بدلاً منها السينما، والراديو، وكانت نتيجة هذا الدمار الحضاري الذي سببته تلك الصفقة الجديدة إقفارًا روحيًا وصفه أفلاطون بأنه مجتمع الخنازير، ووصفه إلدوس هكسلي بأنه عالم زاهٍ جديد!!" [4].

---

1 . حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا الإسلامية، هل حققت الحضارة الغربية السعادة، د. يوسف القرضاوي، موقع الإسلام أون لاين.

2 . مجلة المعرفة السعودية، العدد 102 : بحث بعنوان: محمد أسد: الطريق إلى مكة (1 . 2)، محمد الصاوي.

3 . مجلة الداعي، ربيع الثاني 1430 هـ أبريل 2009 م، العدد: 4، السنة: 3، بحث بعنوان: الماديَّة المعاصرَة وَطَوق النَّجاةِ ، د. يوسف القرضاوي.

4 . المصدر السابق.

ويأمل توينبي في نهاية البحث بأن خلاص الغرب لا يكون إلا بالانتقال من الاقتصاد إلى الدين.

وحسبي أن أذكر هنا ما كتبه أديب أمريكي كبير، هو{ جون شتاينبك} وهو كاتب قصصي يعد في نظر كثيرين أعظم كُتَّاب القصة في أمريكا، وذلك في خطاب أرسله إلى صديقه {ادلاى استيفنسون} مرشح الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية لسنة 1951 و 1956.

وخلاصة الخطاب كما نشره الأستاذ أحمد بهاء الدين في صحيفة {الأخبار} القاهرية:

"إن مشكلة أمريكا هي ثراؤها، وأن لديها أشياء كثيرة، ولكن ليس لديها رسالة روحية كافية، إننا في حاجة إلى ضربة تجعلنا نفيق من ثرائنا، لقد انتصرنا على الطبيعة، ولكننا لم ننتصر على أنفسنا"{1}.

لقد بالغت الحضارة الغربية في إعطاء الحرية الشخصية للإنسان، ليفعل ما يشاء ما دام لا يعتدي على غيره، فأفسدت عليه فطرته، ولم تستطع إشباع نهمه كله، بل جنت هذه الحضارة على البيئة، فلوثتها بدخان مصانعها، وفضلاتها، وآثار إشعاعها، ونفاياتها النووية، وتدخلاتها الكيماوية في النبات والحيوان، التي بالكوارث المستقبلية.

المبحث العاشر

اغتنام الأوقات

لا يوجد دين يقدر قيمة الوقت مثل الإسلام، فاستثمار الوقت فريضة غائبة، ولقد نبه القرآن الكريم على أهمية الوقت كثيراً في سياقات متعددة وبصيغ متعددة أيضاً، فيجيء الوقت بصيغة " الدهر، الحين، الآن، الأجل، اليوم، الأمد، السرمد، الأبد، الخلد، العصر" وغير ذلك من الألفاظ.

1 . الخواء الروحي .. وضياع الإنسان في الحضارة المادية المعاصرة، د. يوسف القرضاوي، موقع الإسلام ست.

بل أقسم الله تبارك وتعالى في عدة آيات بالزمن ومكوناته؛ الأمر الذي يشير إلى الأهمية الكبيرة التي أولاها الله سبحانه وتعالى للزمن، وأنه من القضايا المقدسة في الحياة، والتي يجب النظر إليها نظرة واعية متفهمة؛ باعتبار أن الله تعالى اتخذها عنواناً يقسم به على أهمية الحقائق التي يريدها.

قال الله تعالى في سورة العصر: {**وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**} [1].

وقال جل شأنه: { **وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إذا سَجَى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**} [2].

وقال الله تعالى: { **وَاللَّيْلِ إذا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إذا تَجَلَّى. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**} [3].

وقال أيضاً: { **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إذا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إذا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إذا يَغْشَاهَا**} [4].

كما ارتبطت معظم العبادات في التشريع الإسلامي بمواعيد زمنية محددة وثابتة شرعاً كالصلاة والصيام والحج، أو انتهاء وقت العدة ومدة الإيلاء، أو أجل الدَّيْن والخيار وغير ذلك، بحيث إن أداءها لا يتحقق إلاّ عن طريق الالتزام بأوقاتها حسب اليوم والشهر والسنة.

قال الله تعالى: { **إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتاً** } [5].

وقال جل جلاله: {**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** } [6].

---

1 . سورة العصر: 1 . 2.

2 . سورة الضحى: 1 . 3.

3 . سورة الليل: 1 . 4.

4 . سورة الشمس: 1 . 4.

5 . سورة النساء: 103.

6 . سورة البقرة: 185.

وقال جل شأنه : {**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**} [1].

وقال سبحانه وتعالى: {**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** } [2].

ولقد حبب الرسول عليه الصلاة والسلام الدعاء في أوقات معينة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت أو أمسيت، قال: " قل: اللهم رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشِرْكِه، قال: قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك"[3].

فقد أمره الرسول عليه الصلاة والسلام بالدعاء في ثلاث أوقات، في الصباح عند استقباله لنهار جديد فيتجه بالدعاء والضراعة ليوفقه في نهاره، ويقولها إذا أمسى لأنه يودع فترة ويستقبل أخرى فيلجأ إليه بالتضرع، وإذا ما جاء إلى مضجعه وأراد النوم يردد الدعاء أيضاً؛ لأنه لا يدري إن كان سيقبض إلى الرفيق الأعلى وهو نائم أو يعود إلى الحياة مرة أخرى.

لقد حث الإسلام على استثمار الوقت فيما يفيدهم وينهض بمجتمعهم الإسلامي، لذلك يعد من أهم أسباب تأخر المسلمين اليوم؛ هو عدم استثمارهم للوقت الذي حدده الله تعالى للعمل، وسيحاسب المرء إن لم يحسب للوقت حسابه، وأنفق عمره ضياعاً، الأيام والساعات والدقائق بل حتى الثواني.

قال الشاعر أحمد شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له *** إن الحياة دقائق و ثواني

---

1 . سورة البقرة:189.

2 . سورة يونس: 5.

3 . أخرجه الترمذي (3314) وقال:حديث حسن صحيح، وأبو داود (4405)، وأحمد (60).

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها *** فالذكر للإنسان عمر ثاني

إن من أهم العوامل التي تساعد في اغتنام الوقت، النوم والاستيقاظ المبكرين؛ وبهذا النظام ننجز عملاً كثيراً في اليوم الواحد، فعَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا، يَبْعَثُ تجارته مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، قَالَ: فَأَثْرى وَكَثُرَ مَالُهُ " {1}.

وبالنظام ننجز كثيراً في أقل وقت ممكن، بل نجعل العمل متعة، ونختصر الوقت المفترض لإنجاز أعمالنا، فعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ آخَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً : فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكِ ؟

قَالَتْ : أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ قُمِ الْآنَ، فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: " إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ "

فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَدَقَ سَلْمَانُ"{2}.

ولقد أدرك هذه الحقيقة في النظام "فردريك تايلور" حينما لاحظ انخفاض الإنتاج وضياع الوقت والجهد والمواد دون تحقيق فائدة إنتاجية، فقام بتجربة ميدانية لزيادة الكفاءة الإنتاجية، فأثبت أن الإنسان يستطيع أن ينجز الكثير ويزيد من كفاءته في العمل إذا عرف متى يعمل ومتى يستريح، فعندما كان تايلور مهندساً يعمل في إحدى شركات الحديد والصلب، ودرس باستفاضة حركات العمال وهم ينقلون

1 . أخرجه أبو داود برقم: (2239)، والترمذي (1133)، وأحمد (14896)، وابن ماجه (2227).
2 . أخرجه البخاري (1832).

أثقال الحديد من مكان إلى آخر، فوجد أن متوسط ما يحمله الفرد من كتل الحديد في يوم من الأيام هو حوالي 12 طناً، وبعد ذلك وقف تايلور يرشد أحد العمال (محل التجربة) ويقول له: متى ينحني على ثقل الحديد، ومتى يقف ومتى يسير ومتى يستريح ... الخ

وبعد انتهاء التجربة في ذلك اليوم، كانت النتيجة مدهشة؛ إذ أمكن لهذا العامل أن ينقل من أثقال الحديد 47 طناً أي أربعة أضعاف ما كان ينجزه قبل التجربة، والسر في ذلك أن العامل كان يؤمر بالراحة قبل أن يدركه التعب، وكان مجموع ما يشتغله في كل ساعة هو 62 دقيقة؛ بينما يستريح 34 دقيقة، أي أنه يستريح أكثر مما يشتغل، ومع ذلك فقد أنجز من العمل أكثر مما اعتاد أن ينجز وهو يواصل العمل بلا راحة على الإطلاق {1}.

إن النظام ووضوح الهدف، وتحديد ملامحه وسماته وطرق الوصول إليه، وترتيب الأولويات، ومعرفة المهم والأهم يختصر الطريق، ويوفر الوقت والجهد، ويعطي الفرد قدراً كبيراً من الثقة بالنفس مما يمكنه من سرعة الإنجاز والتدرج من نجاح إلى آخر.

والملاحظ الآن أن العالم الإسلامي يهدر كماً هائلاً من الوقت؛ فتسير الأغلبية وراء برامج التسلية؛ سواء كانت تلك التسلية بمشاهدة الفضائيات، أو الغرق في بحور المواقع الضارة الموجودة علي شبكة الإنترنت، أو غير ذلك من الملاهي، ويعللون ذلك بقتل وقت الفراغ لديهم، ألا يعلم هؤلاء أن الوقت هو الذي يقتلهم، فاللحظة التي تنقضي تذهب بلا رجعة، والصحة لن تظل أبد الدهر، والعاقل هو الذي يغتنم كل لحظة من عمره، وينظم وقته ليحقق أهدافه، ويصل لغايته.

---

1 . فردريك تايلور في كتابه المعروف مبادئ الإدارة العلمية عام 1911، راجع مجلة الدفاع السعودية عدد 132، 1/11/ 2003م، بحث بعنوان " فن اغتنام الوقت" فرج عفنان سلامة عيد.

Frederick Winslow Taylor, Principles of scientific Management, New - York and London, Harper & brothers, 1911.

قال الله تعالى : {**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**} [1].

وقال سبحانه وتعالى : {**وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا**} [2].

إن الوقتُ أغلى ما يمتلكُهُ الإنسانُ، واستثماره واجب شرعي، قال الله تعالى: {**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون**} [3].

والفراغ جرثومة فساد، تنتشر وتستفحل في مجتمعات الشباب، فتحطم الجسد، وتقتل الروح، إنه لص خبيث وقاطع طريق، وسارق خسيس أفسد أناساً ودمر قلوباً وسبَّب ضياعاً، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : {نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ} [4]، أي أن أغلب الناس يفرطون بالصحة فيقتلونها بالأمراض، وبالنسبة للوقت فيسجنون الوقت دون تحريره.

والمؤمن يوم القيامة لا يتألم إلا على ساعةٍ مضت لم يذكر الله تعالى فيها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ فَتَفَرَّقُوا وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ مَجْلِسُهُمْ تِرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [5] ومعنى ترة: أي حسرة و ندامة.

ورحم الله ذلك العالم الذي مر في الطريق أمام مقهى، فرأى أناسًا يلعبون النرد، فقال: سبحان الله !! لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم.

---

1 . سورة الرحمن: 5.

2 . سورة الأنعام:96.

3 . سورة النحل: 12.

4 . أخرجه البخاري (5933)، والترمذي (2226)، وابن ماجه (4160)، وأحمد (3038).

5 . أخرجه أبوداود (4400)، والترمذي (3302)، وأحمد (9388) واللفظ له.

ثم إننا لو ألقينا نظرنا إلى الدول غير الإسلامية كجنوب شرق آسيا وأوربا والأمريكتين لوجدنا تقديراً كبيراً في نفوسهم لقيمة الوقت، ولكن النظرية الغربية ترى أن الوقت هو المال: { Time is Money}. بينما يعد الإسلام أن هذا بخس في حق الوقت، فالوقت هو الحياة: { Time is Life}، وهذا يعني أنه أغلى من المال.

ففي الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه، وما عمل فيما علم " {1}.

ولكي نحسن استثمار الوقت ينبغي علينا أن نعي خصائصه السبعة، وهي:

1. الوقت أغلى ما يملكه الإنسان.
2. الوقت إذا ذهب لا يمكن أن يرجع.
3. الوقت يمضي سريعاً ولا يقف.
4. استغلال الوقت يزيد من قيمته.
5. لا يمكن تغيير الوقت أو تحويله.
6. لا شيء يمكن عمله بدون الوقت.
7. الوقت لا يمكن تخزينه.

قال جل شأنه : {**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّي عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**} {2}.

إن الحياة قصيرة ولكنها تطول بالإنجازات التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، ولقد علم سلفنا الصالح قيمة الوقت فاغتنموها، فعن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله

---

1 . أخرجه الترمذي (2340).

2 . سورة يس:39.

عنه يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك ؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غداً، فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسنها، فقال عمارة: فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي " [1].

وورد الحث على العمل ولو لم يكن العامل سيستفيد من هذا العمل في القريب العاجل بل ربما لا يستفيد منه إلا الجيل القادم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"[2].

ولا بد من عمل تقييم ذاتي بعد انتهاء الوقت المحدد لتحقيق الهدف، فعملية التقييم تساعد الفرد على التعرف على أسباب التقصير – إن وجدت– لتلافيها في المستقبل.

كما ينبغي ألا يطغى الوقت المخصص لعمل ما على الوقت المخصص لعمل آخر.

خاتمة

وأخيراً إذا أرادت الأمة الإسلامية أن تنهض من سباتها، وتنفض غبار التخلف والانحطاط عن كاهلها، فعليها أن تستنير بنور ربها، وتعود لشريعتها وقيمها وأخلاقها، وأن تتمتع بالأخلاق والعلم والعدل والحرية، وأن توحد كلمتها وصفوفها، وتغتنم أوقاتها، ولا أمل في النهضة إذا بقيت الأمة بعيدة عن قرآنها وسنة نبيها.

وأرى أنه ليس من السهولة واليسر أن تتحقق هذه النهضة، حيث ستجد أمامها معوقات كثيرة تقف حيالها، ولكن إذا خلصت النية وتعمق الإيمان في حنايا القلوب، فستنهض الأمة لا محالة كما نهض أسلافها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

1 . أخرجه ابن جرير كما في السلسلة الصحيحة للألباني(7).

2 . أخرجه أحمد في مسنده (12512).

المصادر والمراجع:

. **القرآن الكريم**.

ـ **الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية**، د. محمد سعيد رمضان البوطي ، بيروت : دار الفكر المعاصر ط الأولى، عام 1984.

ـ **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق فواز أحمد زمرلي. بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ/1999م.

ـ **الاعتصام**، أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي، تعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد.

. **تاريخ ابن خلدون**، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية.

. **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، الراغب الأصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.

ـ **حضارة العرب**، غوستاف لوبون. تحقيق: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى 1969م.

ـ **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي**، طباعة أكاديمية نايف العربية للعلوم التربية.

ـ **حكمة الإسلام في تحريم الخمر ، دراسة نفسية اجتماعية** ، د. مالك بدري ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي 16 ، الطبعة الأولى 1416 هـ 1996م.

ـ **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى 1995م.

. **شروط النهضة**، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر بدمشق، 1986م.

ـ **عصـر النهضـة بـين الحقيقـة والـوهم**، مفيـدة محمـد ابـراهيم، دار مجـدلاوي للنشـر، الطبعـة الأولى 1999 م.

. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.

. **القانون الدستوري والمؤسسات السياسية**، اندريه هوريو، ترجمة على مقلد وآخرين، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع.

. **قوانين النهضة**، الكتاب الثاني من سلسلة المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، د. جاسم سلطان.

. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علي بن حسام الدين المتقي الهندي. ضبطه بكري حياني، صححه صفوة السقا.بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ/ 1993م.

. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. بيروت، دار صادر، ط1.

ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد .القاهرة ، مكتبة ابن تيمية.

. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للبقاعي {ت 885 هـ} دار الكتب العلمية للنشر ، لبنان 2006م.

. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، {ابن الأثير} مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ.

. **واقعنا المعاصر** ، محمد قطب، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، 1407 هـ.

الكتب الأجنبية:

- Jrederick Winslow Taylor, Principles of scientific Management, New York and London, Harper & brothers, 1911

المجلات والدوريات:

. **مجلة الداعي**، الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، ربيع الثاني 1430 هـ أبريل 2009 م، العدد: 4.

. **مجلة الدفاع**، السعودية عدد 132، 11/1/ 2003م، بحث بعنوان " فن اغتنام الوقت" فرج عفنان سلامة عيد.

. **مجلة المعرفة**، السعودية، العدد 102، بحث بعنوان: محمد أسد: الطريق إلى مكة {1 . 2}، محمد الصاوي.

. **مجلة الوعي الإسلامي**، العدد: 530 ، بحث بعنوان: التصور الإسلامي للعلاقة بين الحضارات، د. محمد سعيد رمضان البوطي.

. من شبكة الإنترنت:

. **الثلاثي المهلك : الربا والزنا والخمر**، سعد البريك، موقع الشيخ سعد البريك.

. **الخواء الروحي .. وضياع الإنسان في الحضارة المادية المعاصرة**، د. يوسف القرضاوي، موقع الإسلام ست.

. **دعوة الإصلاح بين أصحاب النظرة المادية والنظرة الربانية**، جمعة أمين عبد العزيز، موقع المنارة للإعلام.

. **الركائز الجوهرية للنهضة الحضارية** د. أحمد محمد الشرقاوي، موقع صدى زيد.

. **المفكر المغربي أبو زيد المقرئ الإدريسي: الأخلاق ..قيود خلاقة لحرية الفرد**، عبدلاوي لخلافة. موقع الإسلام أون لاين.

. حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا الإسلامية، هل حققت الحضارة الغربية السعادة، د. يوسف القرضاوي، موقع الإسلام أون لاين.

.كتب السنة النبوية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	3
المبحث الأول: التمسك بالكتاب والسنة	6
المبحث الثاني: الحرية	8
المبحث الثالث: الإيمان والعمل الصالح	13
المبحث الرابع: الاهتمام بدور العقل	15
المبحث الخامس: التربية والأخلاق	19
المبحث السادس: العلم بمفهومه الشامل	21
المبحث السابع: العدل	23
المبحث الثامن: وحدةُ الأمة الإسلامية	27
المبحث التاسع: التوازن	35
المبحث العاشر: اغتنام الأوقات	41
خاتمة	48
المصادر والمراجع	49
الفهرس	52